الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

هل تقدم الأدب في ربع القرن الأخير :

أشرت في الأسبوع الماضي إلى المناظرة التي جرت في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية ، وكان موضوعها « تقدم الأدب تقدما مرضيا في ربع القرن الأخير » أيد الرأي الدكتور أحمد أمين بك ومعالي الدكتور طه حسين بك ، وعارضه الدكتور محمد عوض محمد بك ، وكان بدير المناظرة ويقدم المتحدثين الدكتور محمد صلاح بك وزير الخارجية . ولا شك أن حرص الوزيرين على حضور المناظرة — وكان ذلك في اليوم الثاني لتأليف الوزارة — كان مثلا رائعا للشعور بالقيمة الأدبية . ولك أن تعتبر اشتراك وزيرين في مناظرة أدبية عامة دليلا مؤيدا للرأي وهو تقدم الأدب في هذه الفترة .

بدأ الدكتور احمد أمين بك فعرض الموضوع عرضا حسنا وفصله تفصيلا شافيا ، استعرض أنواع الإنتاج الأدبي وقارن كلا منها بما كان عليه قبل هذه الفترة وما صار إليه ، فالمقالة كانت إما مترجمة بتصرف أو بغير تصرف ، أو مقالة إنشائية يغلب عليها البديع اللفظي ، وبعض المقالات كانت على حالة شبه بدائية ، وحتى الكتاب المعاصرون كانوا لم ينضجوا بعد ولو قارنا بين ما كانوا يكتبونه وبين كتابتهم الحالية وجدناهم خطوا خطوات واسعة نحو التقدم ؛ والآن قد أصبحت المقالة ناضجة ، غزرت معانيها وتدفق أسلوبها

والقصة : لم تكن موجودة ، شاهدنا تمثيليات شوقي وقصص تيمور والحكيم وناشئة الأدب . وقد كانت القصص كلها مترجمة فصار لنا قصة مصرية تتعرض لمشاكلنا وتتحدث عما يجري في حياتنا .

وأما الشعر فإنه يقال إنه انحط ولم نعد نرى مثل شوقي وحافظ ومطران ، ولكن الحق أن شعر أولئك الشعراء الراحلين على جودته ووفائه بأغراضه في عصره أصبح غير ملائم لهذا الزمن . وقد جد بعدهم شعراء لم يبلغوا بالشعر ما يرجى ولكنه ساروا على نهج آخر ، فلا مديح ولا هجاء ، يتفننون للعواطف لا للعمدة ، وقد التزموا وحدة القصيدة ، وتحرر بعضهم من التزام القافية ؛ فإذا لم يكن من الوليد ما يرضي فحسبنا أن نودع شيخا ونستقبل وليدا .

وأما الدراسة الأدبية فهي وليدة الجامعة المصرية ، كانوا يترجمون للشعراء والأدباء كما يترجم «الأغاني» وغيره ، ثم صارت الدراسة تحليلية نقدية فيها جانب من العلم وجانب من الأدب .

وأما الأغاني ، وهي نوع من الأدب ، فأذكر أني كنت أذهب إلى تياترو ألف ليلة لسماع توحيدة ، وكنت أتخفى إذ كنت طالبا معمما من طلبة القضاء الشرعي ، فكنت أسمع منها كما كنا نسمع من غيرها أصواتا جميلة ولكن لا معنى للأغنيات نفسها ، لم يكن فيها شيء كالذي نسمعه الآن من أم كلثوم وعبدالوهاب ولا أبالغ إذا قلت إن الأغاني كانت كالموسيقى الصامتة .

هذه هي مظاهر التقدم في الأدب ، أما أسباب هذا التقدم فكثيرة ، أهمها أن الأدب ظل للحياة الاجتماعية ، كما يقول تين ، وقد تقدمت الحياة الاجتماعية في الفترة الأخيرة تقدما ظاهرا فمن الطبيعي أن يتقدم ظلها وهو الأدب ، ومن هذه الأسباب أن أدبنا يعتمد على الأدب العربي والأدب الغربي ، وقد أكثرنا من نشر كتب الأول وزاد الاطلاع عليها ، كما ازداد الاتصال بالآداب الغربية ، ولذلك زادت ثقافة الأديب ، ومما زاد هذه الثقافة ونماها علم النفس وعلم الاجتماع .

وبعد ذلك وقف الدكتور صلاح الدين يقدم الدكتور عوض فعبر عن إشفاقه عليه لوقوعه بين الأدبيين الكبيرين المؤيدين ، وقال إنه يذكر العبارة المأثورة عن المجمع اللغوي « شاطر ومشطور وبينهما طازج » وكان جديرا بصلاح الدين بك أن يذكر أن هذه العبارة مما تندرت به بعض المجلات الهزلية على المجمع وليست مأثورة عنه .

وقف الدكتور عوض فقال : يظهر أن منظمي المناظرة

بحثوا عمن يستطيع أن يقف معارضا أمام هذين الفطحلين فلم يجدوا كبشا فيرى فتقدموني فداء ... وإذا كان (السندوتش) شاطرا ومشطورا بينهما طازج فإن بينهما الآن قطعة من الجبن ثم دخل في موضوع المناظرة فرماني بسهم النقط ، قال : إن المتحدث الأول أتى بالشعر في الآخر مع أن الشعر له المكان الأول في الأدب العربي ، وأشاد بشعر شوقي وأشار إلى بعض قصائده مما لم يقل أحد مثله من بعده ، وحبذ التزام الوزن والقافية ، ومما قاله أن أدبنا الحديث أخذ ينمو منذ عصر اسماعيل ثم وقف في العصر الحاضر . وأخيرا قال : إن المقال شيء قصير ليس فيه مجال للطاقة الأدبية ، وهو مع ذلك لم يتقدم ، اذكروا كاتبا ممن تقرؤون لهم الآن وتعجبون بهم : هل هذا الكاتب من إنتاج الزمن الماضي أو الحاضر ، فالعبرة بالمنتجين لا بالإنتاج .

وهذه ثاني مناظرة في هذا الموسم أرى فيها الدكتور عوض بك في الجانب الضعيف مضحيا بنفسه ... وقد يستحق الثناء على هذه « التضحية » ولكني الاحظ أنه لا يبذل مجهودا يذكر في تقوية هذا الجانب ، بل هو يزيده ضعفا بالتفكه والدعابة في غير صالح جانبه ، فيبدو ظريفا كما يبدو موضوعه ضئيلا .

وأظن أن مما يحفظ التوازن في المناظرات أن يتوخى في اختيار المعارض أن يكون لديه باعث المحامي الذي يحرص على أن يظهر كفايته في القضية التي يتصدى للدفاع فيها من جانب يحتاج إلى مجهود .

ثم نهض الدكتور طه حسين بك ، وكان يبدو متعبا ، وكان هذا طبيعيا لسنه فما لابس ابتداء عهد الوزارة في ذلك اليوم ، ولكنه مع ذاك تحدث حديثا طيبا ممتعا كعادته ، قال إن وجود عوض نفسه ينقض ما قاله ؛ لأنه حديث وليس ممن أنضجهم العصر الأول ، فهل هو ينكر نفسه ؟ إذا كان يفعل فنحن لا نوافق لأننا نقرأ له ما يعجبنا ؛ وقد مضى الوقت الذي كان يؤرخ الأدب فيه بالزمن ، وإنما يؤرخ بالحوادث والمهمات وإن شوقي بمدعودته من اسبانيا واستلهامه صورا جديدة جعل الشعر العربي لغة للتمثيل ، وهذا من ثمرات ربع القرن الأخير . إننا نجد في هذه الفترة جديدا لم يكن ، نجد تيمور وتوفيق الحكيم ، ونجد كثيرا من الأدباء المعاصرين

كشكول الأسبوع

□ صدر أخيرا ديوان « أنفاس محترقة » للاستاذ محمود أبو الوفا ، وقد تصفحته مغتبطا به وهو يحمل إلى عبق هذه الشاعرية التي صهرت الحياة معدنها النفيس وأشعل الألم عودها الطيب ، فأطربني وأمتعني ما فيه من شعر حي نابض جميل . وقد حرصت على وضع هذا الديوان قريبا من يدي لأعاود المتعة بقراءة شعره فيما أرجو من أطيب الأوقات .

□ كان معالي الدكتور طه حسين بك يستقبل المهنئين في الوزارة ، وفيما أسعد يده أحد المهنئين بالوزارة قبيل ! وتوجه إلى دار معاليه جماعة من هيئة التدريس في كلية الآداب كانوا يعارضون في تدبه لإلقاء محاضرات بالكلية ، وهم من ضمائنه . . ولما رآهم فاجرهم بقوله : أقبلتم حين أقبلت !

والمؤسف أن تكون هذه أخلاق بعض من يقال إنهم من أهل العلم .

□ قرر معالي وزير المعارف نقل الدكتور زكي مبارك من دار الكتب إلى تفتيش اللغة الفرنسية بوزارة المعارف مع ترقيته إلى الدرجة الثالثة . وليست هذه الترقية إلا حقا للدكتور زكي حرم إياه من قبل .

□ ويهتم الآن معالي الوزير باستئناف النشاط الثقافي في السودان ونشر معاهد التعليم المصرية هناك ، ويعمل على تذليل ما كان قد أثارته الحكومة السودانية من العقبات في هذا السبيل .

□ نشرت مجلة « رسالة الباكستان » التي تصدر في القاهرة ، أن الباكستان احتفلت بالذكرى الألفية لابن سينا يوم ٢٢ ديسمبر الماضي .

□ تحضر إلى مصر فرقة موسيقية نمسوية تتألف من نحو مائة موسيقي ، وستحيي حفلاتها في سينما رمسيس . وقد تفضل جلالة الملك فتشمل حفلات هذه الفرقة برعايته الملكية السامية .

□ ثار موظفو محطة الإذاعة وقدموا استقالاتهم لأسباب تتعلق بوظائفهم وترقياتهم ، فأرضاهم المسؤولون في المحطة بالعمل على تلافي هذه الأسباب . ولكن بقي الجمهور ... وهل يضرب عن سماع برامج الإذاعة حتى يهتم المسؤولون بتحسينها ؟

□ ولعل مما يبعث الأمل أن نرى اهتمام معالي الدكتور حامد زكي وزير الدولة بشئون الإذاعة المصرية وقد طلب أن يزود بجميع البيانات والحقائق الخاصة بالإذاعة ، تمهيدا لوضع أساس جديد وإصلاح شامل فيها .

□ يقترح بعض اللغويين أن يطلق على الإذاعة المصرية « أذاع » بضم الهمزة على وزن فعال ، وهي صيغة الأدواء والأسماء كصداع وزكام ، فيقال مثلا : أصبت بأذاع ، أي سمعت الإذاعة المصرية .

الذين يشغلون حياتنا الأدبية وهم من إنتاج الفترة الأخيرة . وقد نضجنا حقا كما قال الدكتور أحمد أمين وتطورت أنواع إنتاجنا. كانت حياتنا محدودة الآفاق مفقودة الحرية ، ولا أقصد الحرية الخارجة عن الإرادة من ضغط ورقابة وتقييد ، بل أقصد حرية العقل حين تتسع آفاقه فلا يخشى من نفسه حين يفكر فيما يريد وقد شذ عن مقتضيات البيئة أمثال البارودى وشوقى وحافظ

ثم قال الدكتور طه : هذا كله شيء والرضا عن الأدب الحالى شيء آخر ، فالحياة الأدبية أخص ما يميزها أنها لا ترضى عن نفسها وليس أخطر على الأدب والفن من الرضا ، فإذا نظرنا إلى الآماد التى أمامنا لا نرضى عن أدبنا ، ولكنى أرضى لأننا فى الطريق وإن كنت لا أقنع بالأدب الحاضر .

التقدم فى الفنون الجميلة :

وكانت مناظرة هذا الأسبوع بالقاعة الشرقية أيضا موضوعها « ما حققته مصر من التقدم فى الفنون الجميلة » واشترك فيها محمد حسن بك وسليمان نجيب بك والدكتور محمود الحفنى والأستاذ عبد الرحمن صدقى . ولم تكن مناظرة بالمعنى المعروف بل كانت حديثا موزعا ، إذ اختص كل منهم بالكلام على التقدم فى ناحية من نواحى الفنون الجميلة . فتكلم محمد حسن بك عن التصوير والنحت ، قال إن مصر أحرزت تقدما محسوسا فى ربع القرن الماضى فى هذه الناحية ، فلم يكن يهتم بها إلا القليل ، وكانت مادة الرسم ثانوية فى برامج التعليم فأصبحت أساسية ، وصار للفنون الجميلة معاهدها العالية ، وصار لمصر فنانون يعرضون أعمالهم فى المعارض داخل البلاد وخارجها ، ونما الإحساس الفنى لدى الجمهور فأقبل على ارتياد المعارض الفنية ، وأشار إلى المناصب الفنية ، التى كان يشغلها الأجانب كالعمداء والأساتذة فأصبح هؤلاء مصريين .

وتحدث سليمان نجيب بك عن التمثيل والسينما أو كان المفروض أن يتحدث فيهما ، ولكنه شغل الوقت بالحديث عن التمثيل فى عهده الأول أيام الشيخ سلامه حجازى وجورج أبيض حتى وصل إلى مسرح رمسيس ونجيب الريحانى ، وكل ما قاله عن التمثيل فى ربع القرن الأخير أنه تقدم فى فن الإخراج .

وتناول الدكتور الحفنى الموسيقى فقارن بين حالها فى ربع القرن الأخير وما قبله ، فقال إنه لم يكن هناك فن موسيقى مختص به موسيقيون محترمون ، فكنت تقرأ على دكان فى شارع محمد على « دخاخنى وموسيقى » وعلى دكان آخر ببولاق « فطاطرى وعواد » وكان أكثر الموسيقيين متسكعين ، ولم يشذ إلا بعض الأفذاذ . وكانت الموسيقى تذكر مقرونة باللهو والفساد فأين أمس من اليوم ؟ لقد صار بالبلاد معاهد ومدارس خصصت للموسيقى ودراسة علومها وفنونها وآلات عزفها ، واعترفت الدولة بمكانة الموسيقى ، وأصبحت من مواد الدراسة فى مختلف المدارس ، وصار لها مراقبة عامة فى وزارة المعارف ، وتعددت المصنفات والمجلات الموسيقية ، وبين الدكتور الحفنى آثار الأفلام والتسجيل الصوتى والاذاعة فى نشر الموسيقى وتيسيرها لكافة الناس .

ثم جاء دور الأستاذ عبد الرحمن صدقى فقال إنه يتكلم على الفنون باعتباره فرداً من الجمهور يقول كلمته فى مواجهة أصحاب الفنون . وانصبت فكرته على أن تقدم الفنون فى الكم أكثر من الكيف ، وذلك أنه لا يوجد فى هذه الفترة أساتذة فى الفنون لهم خصائص بارزة كما كان فى العهد الماضى ، وأن ذلك يرجع إلى أن الفنانين يتجهون إلى الجمهور بحكم انتشار الروح الديمقراطى ، فلا تراهم يحرصون على الإتقان الفنى المثالى بمقدار ما يحرصون على إرضاء أذواق الجماهير . ولا علاج لهذه الحال إلا بما يرجى من تقدم التعليم وانتشار الثقافة حتى يرتفع المستوى الذوقى لدى الجمهور .

وفيما عدا كلمة الأستاذ عبد الرحمن صدقى نجد أن حضرات المتحدثين وجهوا كل همهم إلى الشكليات ولم يبينوا جوهر التقدم فى الفنون ، وإن كان الدكتور الحفنى ألمع إلى شيء من ذلك فى الموسيقى .

جمعية مصر — الباكستان :

يفكر بعض الشخصيات المصرية والباكستانية بالقاهرة فى إنشاء جمعية « مصر — الباكستان » تعزيزاً وتوطيداً لروابط الأخوة بين البلدين ، وتكون مركزاً لالتقاء ألوان الثقافة والتعاون العلمى بينهما ، ومن الشخصيات المصرية البارزة التى رحبت بالفكرة محمد حسن العشماوى باشا وصالح حرب باشا ومحمد على علوبة باشا والأستاذ جلال حسين . والفكرة جديرة بالترحيب ففى مصر جمعيات مماثلة شكلا كرابطة « مصر — أوربا » وكان بها فى أيام الحرب الاتحاد المصرى الانجليزى . ولا شك أن أغراض هذه الجمعيات حقيقة بالاهتمام بها والاتجاه إليها ، بصرف النظر عما لابس الاتحاد المصرى الانجليز من اعتبارات لم تكن فى صالح الجانب المصرى .

ومهما يكن من شيء فإن الروابط بين مصر والباكستان